

كثرت في الآونة الأخيرة وعلى بعض المنابر الإعلامية مفردات وآراء جديدة، بل غريبة تماماً على مسلمات واقعنا العربي، حتى بتنا نخشى أن تصبح قناعات راسخة لدى الرأي العام لكثرة تداولها... ولربما تردّ - في وهم البعض - عن غير قصد، لكنها والحقيقة تقال أنها في أغلب الأحيان تعبّر عن هدف محدد، مؤكدة أن هذا الخطاب الإعلامي لا يجري بشكل عبثي وإنما بدراسة ودراية واضحة، بغية قلب المفاهيم وتغيير النمط الفكري والعقائدي السائد، ومحاولة ملامسة المحرمات لتصبح قابلة للنقاش. تلك الهجمة الممنهجة أدواتها اليوم: قنوات فضائية «عربية» تعمل بجد قل نظيره، يُظهر حجم الارتباط بالمشروع الصهيوني الأمريكي، وإعلاميون وسياسيون ارتضوا لأنفسهم بأن يكونوا وقوداً يزيد من تكريس هذا المشروع وتعريبه...

وما نراه حالياً وبشكل فاضح أن الخبر أو التحليل أو التقرير الصحفي في هذه القنوات يُنشر مشعباً بمفردات التفافية على جوهر الصراع الحقيقي... حيث يصبح فيه المقاوم مقاتلاً أو عنصراً مسلحاً... والقتل الممنهج دفاعاً عن النفس... والاحتلال قوات تحالف... والعملية الاستشهادية انتحارية... والثورة على الظلم انقلاباً... والخيانة سياسة حكيمة... والذل والاستسلام شجاعة واعتدالاً... والسلاح المقاوم سلاح غدر... والوقوف في وجه المشروع الصهيوني كلاماً خشيباً ومغامرة... والتدمير والعدوان تحريراً... أما فلسطين المحتلة فأصبحت في تلك المنابر إسرائيل.

فأي واقع يريد هؤلاء أن يرسموه لنا... هل هو واقع الإنسان العربي المهزوم الأعزل من أي سلاح سوى سلاح الخوف والخضوع للآخر، والضائع عن هويته الحقيقية وانتمائه العروبي... الأضعف من أن يقاوم حتى سلمياً...؟! أي واقع هذا الذي يحيا فيه الإنسان العربي دون كرامة ولا شهادة ولا مقاومة.. ولا حتى وطن.

لقد كان لبنان الشقيق في الفترة الأخيرة النموذج الصارخ لتلك الأبواق والمنابر الإعلامية التي لم تستح ولم تخجل من جماهيرها، وهي تروج للمشروع الصهيوني الأمريكي الذي اعتبر لبنان خط دفاعه الأمامي الأول.

دعوات مأجورة وصحافة كيدية وفضاء مفتوح لمن يطالب باحتلال دولة عربية ويبرر الاحتلال الأمريكي للعراق.. لا بل يطالب بوقف كل أشكال المقاومة «العشبية»... كل هذا يحدث تحت ذريعة حرية الرأي.. فكيف يعرفون الخيانة إذاً.

سُلبت فلسطين في ظل غياب الوعي بالمشروع الصهيوني الذي جاء ليفتت منطقتنا العربية، واحتل العراق ودُمّر بتواطؤ عربي يدمي القلوب وبالأدوات ذاتها التي هي امتداد لتلك الحقبة التي كان فيها الشعب العربي يعاني ما يعانيه من اضطهاد وظلم.

والآن يجري تسويق المشروع الصهيوني الجديد في تلك القنوات عن وعي كامل بأهدافه، وأمام هذا وذاك ولدت مقاومة شعبية واعية تماماً لواقعها.. مشبعة بثقافة البقاء والحياة.. ومع هذا الوعي المتنامي، والإيمان بالمقاومة والاندفاع والالتفاف الشعبي حولها ازدادت الهجمة المضادة والحرب الإعلامية المفتوحة، لتظهر للعالم أجمع أن ثمة مشروعين: الأول وطني قومي بامتياز يهدف إلى الحفاظ على المبادئ الوطنية والقومية وتحقيق التضامن العربي بحده الأدنى، والآخر صهيوني أمريكي ينزع إلى تقسيم المنطقة وإذكاء نيران الحقد والفتنة والطائفية.

وهنا نقول في نهاية المطاف: إن الحق المحصن بالقوة له الغلبة دائماً، وأن ما هو أصيل في ثقافتنا وديننا الذي يشرع الحياة بكرامة في الوطن أو الموت فداء له، سيطفئ كل أصوات النشاز التي حفلت وتحفل بها تلك القنوات الفضائية.

مفاهيم مقلوبة

فاديا جبريل